



في ماضٍ غير بعيد...

في ماضٍ غير بعيد، لم يكن العربي غير المسلم في حاجة الى تبرير اذا اراد "التدخل" في شؤون العرب المسلمين. اصلاً، لم يكن ليشعر بان عليه اشهار اختلافه الطائفي من تلقائه خشية ان يذكره به من يريد الاعتراض على كلامه. بل انه لم يكن ليظن ان هذا الاختلاف الطائفي الذي لم يختره هو، يحول دون مقارنته بعض المشاكل التي تعترض مستقبل الجماعة الواسعة التي ينتمي اليها انتماءً لم يختره هو الآخر لكنه اختار ان يجدد وثائقه يومياً على جميع المستويات الفكرية والحياتية.

الماضي ولى وان لم يكن بعيداً. الا ان "المستقبل" الذي حل مكانه فأضحى راهننا يبدو محكوماً بخط تراجعى يقفز وراء هذا الماضي غير البعيد ليستعيد ماضياً آخر، وان يكن جله ثمرة عملية تركيب ذهنية. ولعل في هذه الاستعادة المشتهاة ما يكفي لتبيان هشاشة مفهوم التقدم الذي عدّ ذات يوم، وليس فقط في الثقافة العربية، ناموس التاريخ الانساني. وعليه، فقد بات التعامل مع امور الدين في الفضاء العربي محكوماً بهاجس عدم المساس بالخطوط الحمر التي يحددها القيمون على النص الديني اليوم، وليس النص نفسه. وصار العربي المسلم مضطراً الى محاذرة الفكر النقدي في مقارنته للدين، تحت طائلة عقوبات صارمة من النوع الذي عاناه نصر حامد ابى زيد والذي لا مثيل له في التاريخ العربي الحديث، لا في قضية صادق جلال العظم في نهاية الستينات، ولا في قضية الشيخ علي عبد الرازق في العشرينات. فكم بالحري اذا كان مقترف الاثم غير مسلم، وفوق ذلك غير راغب في التسلح بذريعة الحوار بين الاديان؟

ومع ذلك، هل يحق للعربي غير المسلم ان يبقى متفرجاً حيادياً فينأى بنفسه عن النقاش؟ ربما، اذا كان مستعداً لتغليب هويته الضيقة الدينية - الطائفية، فيرضى بدمية من نوع جديد. لكنه كيف يكون وفيماً لهويته الاوسع، أميناً لعروبتة إن اختار الحياد امام الداء الذي يعتمل في الجسم العربي دون غيره؟ فالمسألة، في النهاية، لا تتصل بالاسلام كدين، بل بالظواهر المنتشرة بين العرب من المسلمين.

واذا كان صحيحاً ان "الصحة الاسلامية" انطلقت من خارج العالم العربي، وفي شقيها السني (المدرسة الهندية - الباكستانية) والشيعي (المدرسة الايرانية)، فان معظم البلدان غير العربية التي شهدت هذه الصحة عرفت ايضاً كيف تولف بين تجديد الانتماء الديني ومواكبة العصر، علمياً مثل ما حدث في باكستان بدليل الجهد المبذول بنجاح لتطوير القدرات النووية، او ديموقراطياً كما ثبت في ايران، رغم عدم اكتمال التجربة الاصلاحية بعد، واخيراً في تركيا. ثم ان الاضطرابات الامنية التي تشهدها البلدان غير العربية جراء نمو الاسلام الحركي تعود عامة الى انقسامات طائفية واتنية اكثر مما تعود الى خلافات في التفسير الديني. تلك هي الحال مثلاً في الفيليبين وحتى في تشيشينيا، والى حد بعيد في افغانستان.

في المقابل، فإن المجتمعات العربية التي شهدت بدورها "الصحة الاسلامية"، تبدو مأكولة بالهموم المترتبة عن هذه الصحة، وخصوصاً عندما تأتي ترجمتها على شكل حركات تدعي لنفسها "السلفية". ولعل آخر دليل على قوة هذه الهموم وقدرتها على احداث الضرر، ما فعلته في ساحة فلسطينية قريبة هي ساحة مخيم عين الحلوة. فحيث لم ينجح لا المشروع الصهيوني منذ اكثر من



نصف قرن، ولا الحصار "العربي" منذ عقد ونيف، نجحت حركات سلفية جديدة في ان تُنسى المنتمين اليها انتماءهم الى فلسطين. ذلك ان هذه الحركات، بخلاف "حماس" و"الجهاد" في فلسطين، لا تُخفي انها غير معنية بالاطار الوطني الفلسطيني ولا باستعادة ترابه، مفضلة عليه التعبئة من اجل جهاد آخر، مهما يكن بعيداً، على غرار ما فعل الشيخ عبدالله عزام نموذج السلفية اللا-ترايبية ومعلم اسامة بن لادن، في افغانستان الثمانينات. واذ يتأكد مع تنظيم "القاعدة" ان الحضور العربي طاغ في اصفاء الطابع السلفي على قوس الازمة الاسلامي، من "الافغان العرب" الى "الشيشان العرب" مروراً بـ"الكوسوفار العرب" وصولاً الى "الافارقة العرب"، فيصبح لزاماً على العرب جميعاً التوقف عن التحجج بخصوصية اسلامية مفترضة للتعامي امام سلفية جهادية لا تأتي عليهم الا بالضرر، بل تنحصر اضرارها المستديمة فيهم دون غيرهم.

في ازاء هذه الازمة التي تهدد بالاجهاز على ما تبقى من العروبة، بعدما انهكتها الانظمة العسكرية المتلطية بالفكر القومي، لا ريب ان المسؤولية الاكبر تقع على عاتق العرب المسلمين. غير ان العربي غير المسلم لا يستطيع، من جهته، التوصل من مسؤوليته في العمل على نهضة جديدة. فكونه غير خاضع الى المسلمات التي استحدثها القيمون على النص الديني اليوم، وبشرط الا يكون اسير مسلمات اخرى ناجمة عن السليقة الطائفية، يستطيع ربما أكثر من غيره التنبيه الى ما حصل في العالم غير المسلم (وغير العربي) تفنيداً لحجة الخصوصية، وتذكيراً بان كل المؤسسات الدينية في التاريخ، اياً يكن ايمانها المؤسس، لم تقبل بسهولة التراجع عن حيّز المواطنة. وفوق ذلك كله، يملك العربي غير المسلم ان يشهد، ودائماً من باب تفنيد ذريعة الخصوصية، ان العربي المسلم كان ذات يوم اقرب اليه مما هو الى الافغاني المسلم، بل ان الجزائري المسلم أو المصري المسلم كان اكثر تضامناً مع المسيحي الانغولي أو الجنوب الافريقي مما هو مع المسلم الباكستاني. واذ يشهد، فانه سيضيف بأن ذلك كله كان في ماض غير بعيد، يوم كان العرب أجمعين يبحثون عن سبل نهضتهم، ومن خلالها عن دور في نهضة الانسانية.

سمير قصير



Id-Reference	03-Pr-000688	
Media	(Support)	HC
Title		في ماض غير بعيد
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٣/٥/٢٣ 23/5/2003
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	شيخ علي. عبد. رزاق - حامد. ابي. زيد - صادق. جلال. عظم - اسامة. بن. لادن
	Locations	ايران - باكستان - فيليبين - افغانستان - تشيتشينا - تركيا - اسرايل - فلسطين -
	Dates	
	Themes	عالم. اسلامي - عرب. مسلمين - اسلام - عرب - قضاء. عربي - حركات. سلطوية - مشروع. صهيوني - حوار. اديان - طائفية - عروبة - حماس - جهاد - اسامة. بن. لادن - عالم. عربي - سنة - شيعة - مدرسة. باكستانية - مدرسة. ايرانية - سلفية - مشروع. صهيوني - أفغان. عرب - أنظمة. عربية - فكر. قومي. عربي -
Subject		